

المتكلمون في المهد - دراسة في ضوء التعبير النبوي

د. عبد الكريم محمد خلف ضاحي الجنابي

دكتوراه في الأدب العربي

جامعة الأنبار - المكتبة المركزية

Email: Kareem161978@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٩ / ١ / ٥

تاريخ القبول: ٢٠١٩ / ٣ / ١١

الملخص

يتحدث هذا البحث عن ستة من الأطفال تكلموا في مهدهم ذكرهم التعبير النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، فتم رصد هذه الأحاديث التي ذكرتهم واستخراج الرابط الموضوعي الذي يربطها بشبكة من العلاقات الجمالية ، وكذلك التطرق للحديث عن الجوانب التركيبية والتعبيرية ، والتي أضفت على هذه الأحاديث مجتمعة أداءً فنياً متميزاً جاء بأسلوب بديع أختير بعناية فائقة ، ثم ختم البحث بالحديث عن التصوير الفني في قصص هؤلاء الأطفال ، والذي أسهم بدوره في رسم لوحة متكاملة نابضة بالحياة جعلت المتلقي يستشعر أحداث هؤلاء الأطفال وكأنه عاش أدق تفاصيلها ، وهذه هي الميزات الربانية التي حباها الله نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

Speakers in the cradle – study in light of the prophetic expression

Dr.abdul kareem mohammed khalaf

Phd in Arabic literature

Al-anbar university- the central library

Email:Kareem161978@gmail.com

Summary

Speakers in cradle summary this paper talks about six people who spoke while they are in cradle newly born . these six people were mentioned by the prophet (pbuh) I showed the prophet,s saying and meanwhile I showed the aesthetic side of these sayings . moreover I tackled the structural and expressive points which added much to the aesthetic side of these sayings . I concluded my paper with artistic view about the stories of these six kids which contributed in painting a fantastic image about these stories .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد أحببت الجوانب التطبيقية في البلاغة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، ورأيت أن من الضرورة بمكان أن نبتعد عن التنظير فيها دون جوانب تطبيقية تُرسخها وتعمق جذورها والبحث فيها عن طريق أسس علمية تمهد لتمكينها عند طلبة العلم ، ومن خلال مطالعاتي وجدتها بحرا كثير الفائدة متنوع المشارب ، وقد استوقفني بحث بعنوان : المتكلمون في المهد بين أقوال المفسرين والمحدثين وبين المعجزة والكرامة ، فقررت أن أدرس الأحاديث نفسها ولكن من وجهة أدبية ، ولذلك عمدت إلى كتابة هذا البحث ، وأسميته " المتكلمون في المهد - دراسة في ضوء التعبير النبوي " والذي سأتناول فيه الذين تكلموا في المهد من خلال الأحاديث النبوية التي ذكرتهم ، فأخرج الأحاديث أولاً ، فإذا ما صحَّ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتقل بعدها لدراسة جماليات التعبير النبوي فيه وروائعه البيانية .

وقد قسمت بحثي هذا على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الدراسة الموضوعية .

المبحث الثاني : الدراسة التركيبية والتعبيرية .

المبحث الثالث : التصوير الفني .

وختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها ، ومن الله التوفيق

الأحاديث الداخلة في البحث :

لا بد لي في البداية من ذكر الأحاديث التي هي مدار هذا البحث ، والتي ذكرت من تكلم في مهده ، فيتبين لنا أولاً عدد هذه الأحاديث ، ومن ثم سنعرف عدد الأطفال الذين تكلموا في مهدهم ، لننتقل بعد ذلك إلى مباحث هذه الدراسة .

الحديث الأول : قال النبي ﷺ : ((لَمْ يَنْكَلَمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا ، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً ، فَكَانَ فِيهَا ، فَاتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ فَقَالَ : يَا رَبُّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَانْصَرَفَتْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ فَقَالَ : يَا رَبُّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَانْصَرَفَتْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ ، فَتَذَاكُرَ

بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرِيحًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يَتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَا فِتْنَتَهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضْتُ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرِيحٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَيْنَتْ بِهِذِهِ الْبَغِيَّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَتَيْنَ الصَّبِيَّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أَصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فَلَانُ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبِلُوا عَلَى جُرِيحٍ يَقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تَرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ تَذِيهًا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَذِيهٍ يَمَصُّهُ، - قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِبْصَعَهُ - ثُمَّ مَرَّ بِأُمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ تَذِيهًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأُمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقَتْ، زَيْنَتْ، وَلَمْ تَفْعَلْ)) (البخاري ، ١٩٨٧، ص ٦٦٠١)

(ALBukhari , 1987 , p 6601) .

الحديث الثاني : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا وَجَدْتُ رَائِحَةً طَيِّبَةً فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذِهِ رَائِحَةُ مَا شَيْطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا فَقُلْتُ: مَا شَأْنُهَا ؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشِي بِنْتُ فِرْعَوْنَ إِذْ سَقَطَ الْمُشْطُ مِنْ يَدِهَا فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أَبِي فَقَالَتْ: لَا وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ، قَالَتْ: وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرَ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، قَالَتْ: فَأَعْلِمُهُ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَعْلَمَتْهُ فَدَعَا بِهَا، فَقَالَ: يَا فَلَانَةُ ، أَلَيْكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَتْ: نَعَمْ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبَقْرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَخَذَ أَوْلَادُهَا يُلقُونَ فِيهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ فَتَدْفِنُنَا جَمِيعًا، قَالَ: وَذَلِكَ لَكَ عَلَيْنَا فَلَمْ يَزَلْ أَوْلَادُهَا يُلقُونَ فِي الْبَقْرَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ابْنِ لَهَا رَضِيعٍ فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ فَقَالَ لَهَا: يَا أُمُّهُ ، اقْتَحِمِي، فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَكَلَّمَ أَرْبَعَةً صِغَارًا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَصَاحِبُ جُرِيحٍ ، وَشَاهِدُ يَوْسُفَ ، وَابْنُ مَا شَيْطَةِ فِرْعَوْنَ)) (الطبري ، ٢٠٠٠، ص ١٦-٥٥) (Tabri , 2000 , p 16-55) .

الحديث الثالث : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((كَانَ مَلَكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا

يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرْبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَفَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتَبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمَنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمَنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمَنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَارْجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاثْنَكَفَاتْ بِهِمُ السَّقِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كِبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كِبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟

قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْذِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَاةِ، فَخُذَتْ وَأَضْرَمَ النَّيِّرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّةُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ)) (مسلم، ١٩٨٩، ص ٧٢٦١) (Muslim, 1989, p 7261).

فنحن أمام ثلاثة أحاديث نبوية ذكرت ستة من الأطفال تكلموا في مهدهم ، وهذه الأحاديث صحيحة كما هو ثابت عند علماء الحديث الأجلاء ، وهناك بعض الأحاديث لم أدخلها في بحثي؛ لأنها ضعيفة كما حكم بذلك أهل الاختصاص مثل حديث مبارك اليمامة ، ومن هنا نبدأ نتأكد من صحة الحديث أولاً ، ثم نكشف الغمار عن روائعه التعبيرية ، وأول ما نلمحه في العرض النبوي لهذه القصص أنه صلى الله عليه وسلم قد استعمل ((المبسوط في موضع البسط والمقصود في موضع القصر ... ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة وشُيِّد بالتأييد ويُسرَّ بالتوفيق)) (الجاحظ، ٢٠٠٢، ص ٢-١٠) (AL-Jahiz, 2002, p 2-10) والتعبير النبوي هنا قد ((ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة)) (الجاحظ، ٢٠٠٢، ص ٢-١١)

(AL-Jahiz, 2002, p 2-11) وأحب أن أنبه هنا على محور هذه الدراسة وهو : أنني أبحث عن تكلموا في المهد من خلال التعبير النبوي فقط .

أما أقوال المفسرين وشرح الحديث التي ذكرت آخرين تكلموا في المهد فليست محور دراستي ، فأمر عليها مرور الكرام دون أن أتوقف عندها .

وقبل أن أدخل إلى مبحث الدراسة الموضوعية لا بد أن أقف عند تعريف المهد ، فالمهد : مصدر الفعل مَهَدَ ، يقال : مَهَدَ الفراشَ أي بسطه ووطَّاه ، فهو تسوية الأرض وإزالة ما يُقْضُ جنب المضطجع عليها (الزبيدي ، ١٩٨٠ ، ص ٩-١٠) (Al-Zubaidi, 1980, p 9-190) فهو مصدر سمي به مهد الصبي أي : ما يمهد للصبي من مضجعه ، وقد عُرِّفَ في المعجمات بتعريفات منها :

أ- هو الموضع يهياً للصبي ويوطأ لينام فيه (مصطفى ، ١٩٧٠ ، ص ٢-٨٨٩) (Mustafa, 1970, p 2-889).

ب- السرير يهياً للصبي ويوطأ لينام فيه . وهما يؤديان المعنى نفسه ، فهو موضع الهدوء والسكون للصبي، ويُجمع المهد على مَهْدٍ (المناوي ، ١٩٩٤ ، ص ٥-٣٧٥) (Almenawy, 1994, p5-375).

المبحث الأول : الدراسة الموضوعية :

سأخصص هذا المبحث للحديث عن الجانب الموضوعي في الأحاديث الداخلية في بحثي هذا ، وأبرز ما تضمنته ، وكذلك تسليط الضوء على الرابط الموضوعي الذي جمعها ، والذي يُعد خصيصة بارزة من خصائص التعبير النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، ويمكنني أن أذكر ذلك عبر النقاط الآتية :

١- الجامع لمن تكلموا في المهد ينقسم على أمرين : الأول : التبرئة من تهمة الزنا ودواغيه والسرقة لأشخاص معينين كما في قصة عيسى عليه السلام وطفل جريج وصاحب الجبار وشاهد يوسف ، والثاني : دعوة الأمهات للنجاة من نار الآخرة باقتحام نار الدنيا كما في قصة طفل ماشطة ابنة فرعون وطفل أصحاب الأخدود .

٢- قصة شاهد يوسف وقصة عيسى عليه السلام لم تُذكر تفصيلاً في الحديث النبوي الشريف، على عكس القرآن الكريم الذي أفاض في ذكر تفصيلاتها ومقالة الأطفال في هذا الشأن، والقضية المهمة التي أودّ التنبيه عليها هي أن القرآن الكريم فصل القول في مقالة الأطفال الرضع على العكس من السنة النبوية التي أشارت إلى أنهم تكلموا فحسب ، فبين القرآن الكريم مقالة شاهد يوسف الفصل فقال ((إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين)) (سورة يوسف ، ص ٢٦-٢٧) (Surat Yusuf, p 26-27)، وهنا تجدر الإشارة إلى أن فكرة شق القميص التي نطق بها الصبي لاكتشاف الحق مشابهة لقصة سليمان عليه السلام لما قال : ((اتوني بالسكين أشق الولد بينكما)) (مسلم ، ١٩٨٩ ، ص ١٧٢٠) (Muslim, 1989,p 1720).

والأمر نفسه يتكرر في قصة عيسى عليه السلام فقد وَرَدَ في محكم التنزيل في أكثر من آية كريمة ، فضلاً عن الحديث الصحيح الذي سبق أن ذكرناه آنفاً، أن عيسى بن مريم ﷺ قد تكلم في حال صغره، كما قال الله تبارك وتعالى : ((ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين)) (سورة آل عمران، ص ٤٦) (Surat Al-Imran, p 46).

وقد ذكر النبي ﷺ اسم عيسى عليه السلام دون أن يبين قصته كما هو الحال في قصة صاحب جريج وصاحب الجبار؛ إلا أن القرآن الكريم تحدث مفصلاً عن عيسى عليه السلام ، حتى ذكر الكلمات التي كان قد نطق بها في مهده فقال : ((فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي

يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعثُ حياً)) (سورة مريم، ص ٢٩-٣٣) (Surat Maryam,p 29-33).

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يتكلم في المهد من الأنبياء إلا عيسى عليه السلام ، فكلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة ، وربما يستغرب البعض ويثير إشكالا في المعنى هنا من حيث طرحه سؤالاً مضمونه : وما الغريب في كلام الكبير ؟ والجواب عن ذلك أن الله تعالى أعلمهم أن عيسى عليه السلام يكلمهم في المهد ويعيش إلى أن يكلمهم كهلاً ، إذ كانت العادة عندهم أن من تكلم في المهد لم يعيش ، أو هي إخبار عن نزوله لقتل الدجال في آخر الزمان (الثعلبي ، ٢٠٠٢ ، ص ٣-٦٩) (Thalassic, 2002,p 3-69) ..

٣- وفي هذه النقطة تحديداً نجد أنفسنا أمام مقارنة موضوعية بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، ففي النقطة السابقة نجد القرآن يفصل القول والسنة تختصر ، وإذا ما جئنا إلى طفل الأخدود نجد التفصيل في السنة المطهرة أما القرآن الكريم فيجمل المشهد بـ ((قتل أصحاب الأخدود)) (سورة البروج، ص ٤) (Surat Al-Borouj,p4) فلم نعرف التفصيل عن هذا الطفل الرضيع وأمه ومجريات الحوار الذي دار بينهما إلا من السنة المطهرة .

٤- ونلاحظ في جانب المقارنة الموضوعية أن الغلام في قصة أصحاب الأخدود قال : ((وتصلبني على جذع)) فهو قد عرف ديدن الظالمين إذ قال فرعون قبله بآلاف السنين للصحرة لما آمنوا ((ولأصلبكم في جذوع النخل)) (سورة طه، ص ٧١) (Surat Taha,p 71)، وكذلك قوله تعالى ((اضرب بعصاك الحجر)) (سورة البقرة، ص ٦٠) (Surat al-Baqarah,p 60) مشابه لحديث الدابة لأنه ضربها بحجر ، فالضربة لم تفعل شيئاً وإنما سبب فقط لتحصل المعجزة والكرامة بعدها لمن تولاها الله بلطفه وعنايته .

٥- أغلب هذه القصص حدثت في بني إسرائيل ، وكان بطلها طفلاً رضيعاً ، وتنوعت بين الكرامة والمعجزة .

٦- قد يتكلم الطفل ابتداءً وقد يتكلم بعد طلب ذلك منه ، فعيسى عليه السلام وطفل جريج تكلموا بعد الإشارة إليهم بذلك ، أما شاهد يوسف وطفل الجبار وابن الماشطة وطفل الأخدود فقد تكلموا ابتداءً لتوضيح أمر ما وإقراره .

٧- ارتباط حوادث الأطفال بالأمهات ، وهذا مما لا بد منه فهم لا زالوا في مرحلة الضعف، فلا بد من وجود أمهات للقيام بشؤونهم .

٨- يتجلى انتصار المبدأ على المادة في حادثتي ماشطة بنت فرعون وأصحاب الأخدود ، أما انتصار المبدأ والمادة معا فقد تجلى عند شاهد يوسف عليه السلام ونطق عيسى عليه السلام وطفل جريج وصاحب الجبار .

المبحث الثاني : الدراسة التركيبية والتعبيرية .

بداية لا بد من الإشارة إلى أن هؤلاء الأطفال تكلموا على وفق لسان أقوامهم ، ونقلت إلينا قصصهم باللغة العربية عن طريق الوحي الإلهي المعجز ، وسأوقف في هذا المبحث للحديث عن الجوانب التركيبية والتعبيرية التي شكلت ملمحا بارزا في الصياغة اللفظية لهذه الأحاديث النبوية الشريفة وكيف أسهمت في تشكيل البناء العام للتعبير النبوي وكذلك تشكيل الصورة الذهنية لدى المتلقي والقارئ على مر العصور بإبرازها المعنى المراد بأروع صورة وأبهى تعبير .

أولاً : الافتتاح .

جميع هذه الأحاديث افتتحت بالفعل كان للدلالة على الإيغال في الزمن الماضي (كان جريج - وكانت امرأة - كان ملك فيمن كان قبلكم - لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها) ، ونلاحظ في الحديث الأول الذي ذكر الثلاثة الذين تكلموا في المهد أنه بدأ بإجمال ((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة)) وهذا الإجمال حوى توطئة للنفس لتقبل البيان والتنويع في الأسلوب للتشويق والإثارة ، وفيه دلالة على عظم أمر البيان الذي سيتلو الإجمال (البدرى ، ٢٠١١ ، ص ٣-٤)

(Al-Badri, 2011,p 3-4)، ومن هنا نلمح أن المتلقي سيتحرك بكليته مع هذا الإجمال والتفصيل ((منطلقا من الفكرة الكلية العامة إلى عناصرها بطريقة تفصيلية تكشف عن أن هذه الفكرة تتحلل إلى عناصر جزئية صغيرة)) (القرعان ، ١٩٩٤ ، ص ١٠) (Al-Qar'an, 1994,p 10).

ونلاحظ في هذه الأحاديث إغفال التحديد التاريخي الدقيق لهذه الحوادث وكذلك إغفال الزمان والمكان لتتجرد معاني تلك الأحداث وتصبح مجردة مطلقة ، فيمكن اعتناقها والاقادة منها بغير الارتباط أو التعلق بظروفها وملابساتها ، ولكن لكي يرتبط هذا التجريد بالواقع النبوي قال (قبلكم)، ومن هنا كانت هذه الأحاديث تحمل الطابع المكي الذي يحاكي قضية الصبر عند المؤمنين ويروي لهم قصص الأولين في هذا الجانب ؛ ليتقنوا من أن طريقهم مليء بالأشواق ولكن نهايته الفلاح والنجاح والتأييد الإلهي ، وهذا هو سياق الحال الذي

راعاه التعبير النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، والذي كان بدوره ((يمثل البيئة التفاعلية بين المتحدث والمخاطب وما بينهما من عرف سائد يحدد مدلولات الكلام ، وذلك أن تداول الخطاب يجري في سياق ثقافي واجتماعي بين المتحدث والمخاطب ، وليس لفظاً مجرداً عن محيطه الذي يجري فيه)) (التخيفي ، ٢٠٠٧ ، ص ٤) (Stealth, 2007,p 4)، وهنا يقف القارئ والمتلقي الحذق أمام روائع التعبير النبوي وتكامل الفهم عنده فلاقتصار على السياق المقالي وحده سيجعل ((النص بيئة مغلقة تقتصر على ما تفيد الألفاظ من دلالات ومعان)) (التخيفي ، ٢٠٠٧ ، ص ٤) (Stealth, 2007,p 4)، وبهذا الشمول يمكننا قراءة هذه الأحاديث النبوية الشريفة .

ثانياً : حروف العطف :

إن المتتبع لهذه الأحاديث النبوية الشريفة يجد ظاهرة حروف العطف بارزة فيها ، والتي أدت بدورها معنى خاصا ، يفيد تتابع الحدث من بدايته إلى نهايته ، وأول ما نرصده منها حرف الفاء ، إذ تجاوز تكراره الأربعين مرة في حديث الأخدود ، يلي ذلك تكراره لأكثر من ثلاثين مرة في حديث جريج ، ويأتي بعده حديث ماشطة بنت فرعون إذ تكرر لخمس عشرة مرة ، وبعدها جاء حديث الجبار الذي تكرر فيه تسع مرات ، أما شاهد يوسف الوارد ذكره في القرآن الكريم فقد تكرر حرف الفاء فيه مرتين ، في حين خلت الآيات التي ذكرت مقالة عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام من هذا الحرف ، وكذلك كان لحرف الواو و" ثم " حضور بارز في هذه الأحاديث وتأتي في المرتبة الثانية والثالثة بعد حرف الفاء .

فالفاء أفادت اختصار الزمن ، فهو قد طوى الزمن بسرعة ، إذ جاءت الأفعال جميعها معطوفة بحرف الفاء الذي يفيد السرعة في المجازاة بدون مهلة زمنية (الشاويش ، ٢٠٠٩ ، ص ١٥٣) (Shawish, 2009,p 153)، لتعطي شعوراً بسرعة الأحداث وتعاقبها ((فَأَمْكَنْتُهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ))، ((فَأَبَى فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ)) والأمثلة كثيرة في هذا الجانب .

ومن الدقة في استعمال حروف العطف التنقل فيما بينها بحسب نوع الحدث ومدته الزمنية، ومن ذلك ما جاء في الحديث ((فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ)) فنلاحظ البعد الزمني بين الحمل والولادة واضحاً جداً ، ولذلك قال : (فلما ولدت) ولم يقل (فولدت) .

وكذلك الحال في ظاهرة التنقل من الفاء إلى الواو ((فترك ثديها وأقبل على (الراكب)) ((فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك ؟)) ((فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك)) ((فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك)) فالحال هنا أن الواو أقل سرعة من الفاء فهناك توقف لبرهة من الزمن قبل أن يتتابع الحدث المسبوق بحرف الواو ، فالواو أفادت التشريك والجمع بين هذه الأفعال من غير تقييد بزمن (ابن هشام ، ١٩٨٥ ، ص ٤٦٣ (Ibn Hisham, 1985,p 463) .

ومثل ذلك الانتقال من الفاء إلى ثم ((فقال : اللهم لا تجعلني مثله ، ثم أقبل على ثديها)) ، ((فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام)) وهنا نلاحظ أن البعد الزمني أوسع مما كان مع حرف الواو فبعد الحدث المسبوق بحرف الفاء كان هناك توقف واضح ليأتي الحدث الآخر ، فـ "ثم" تفيد التشريك والترتيب والتراخي ، وإفادتها التراخي هو ما يميزها عن غيرها من حروف العطف ، فالذي ميز الفاء هنا أنها أفادت التعقيب بلا مهلة خلافاً لـ "ثم" فإنها أفادت الترتيب مع مهلة (ابن هشام ، ١٩٨٥ : ١٥٨) (Ibn Hisham, 1985,p158).

والأمر نفسه مع الانتقال من الواو إلى ثم ((وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً)) فالصلب بحاجة إلى وقت ، ثم بعد إكماله يأتي تصويب السهم لقتله ، فنحن أمام دقة متناهية منقطعة النظير في التعامل مع حروف العطف التي وردت في سياق هذه الأحاديث ، وما ذكرته يُعدّ أمثلةً على ذلك ، ولو أردتُ الاستقصاء لطال بنا المقام .

ثالثاً : الحوار :

المتأمل في هذه الأحاديث النبوية الشريفة يلحظ أن الحوار هو الأسلوب الذي لا يكاد يغيب عنها بُغية ترسيخ قضية ما لدى المتلقين لهذه الأحاديث النبوية عبر العصور ، ويمكنني رصد بعض ميزات هذا الحوار ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١- وجود الدعاء في الحوار ((اللهم لا تمته - اللهم اجعل ابني مثله - اللهم لا تجعلني مثله - اللهم لا تجعل ابني مثل هذه - اللهم اجعلني مثلها)) ، وذلك يمثل خروج أحد طرفي الحوار من حوار صاحبه إلى مناجاة الله والطلب منه ما يستحيل تحقيقه بدونه ، فيوقن أن الأمر كله بيد الله .

٢- وجود التوكيد في الحوار ؛ وذلك لانعدام الثقة بين الطرفين المتحاورين (أحمد ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٣) (Ahmad, 1978,p 143) ((إنك لست بقاتلي - لأفتننه لكم - إني لا أشفي أحداً)) .

٣- وجود الاستفهام في الحوار وهذا مما لا بد منه ، فقد غلب على الحوار في هذه الأحاديث كثرة ورود الاستفهام ((أين الصبي ؟ - من أبوك ؟ - ما هذه الرائحة ؟ - ما شأنها ؟ - ما فعل أصحابك ؟)) ونستشف من ذلك وجود الغرابة أو التحدي بين المتحاورين ، وكذلك الحال مع كثير من الأساليب الأخرى كالتداء مثلاً ، ومنه ((يا رب أمي وصلاتي - يا فلانة ألك رب غيري)) .

٤- تنوع الحوار بين شخصيات هذه القصص ، فقد تحاور نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام ، وتحاور عيسى عليه السلام وجريج مع قوميهما ، وتحاور الملك والغلام المؤمن ، وتحاور الطفل مع أمه .

٥- ونلاحظ أيضاً الواقعية في الحوار وخاتمته التي تتدخل السماء في صنعها عندما تعجز القدرة البشرية عن إكمال الدور نتيجة لفضاعة المشهد وعظم مجرياته .

٦- وقد أسهم الحوار في رسم الشخصيات التي تدور حولها أحداث القصة من جهة ، ثم إبراز المعاني النفسية التي يشتمل عليها الموقف الدائر حوله الحوار ، فمثلاً لنا أن نتخيل طغيان فرعون حيث طلبت منه الماشطة أن يجمع عظامها وأبناءها فأجاب بالقبول دون أدنى شفقة منه ، وكذلك الغلام عندما علمَ الملك كيفية الخلاص منه نهض مسرعاً وكأنه بانتظار جائزة .

رابعاً : التكرار :

للقارئ المتابع للتكرار في هذه الأحاديث النبوية الشريفة يرصد تكراراً متنوعاً ، فقد تكررت أعمال متنوعة من قبل شخوص هذه الحوادث ففرعون مثلاً يكرر فعل إلقاء الأبناء ، والملك يكرر إرسال الغلام ليتخلص منه ، والأم تكرر ترددها على ابنها جريج في صلاته ، ونرصد أيضاً تكرار جمل وعبارات مثل ((يا رب أمي وصلاتي)) ((آمنا برب الغلام)) ، وكذلك تكررت أدعية خاصة كما في ((اللهم اجعل ابني مثله - اللهم لا تجعل ابني مثل هذه)) ، ولم يأت هذا التكرار كيفما اتفق ، وإنما جاء لغاية رسم الصورة بكل ملامحها من حيث أهمية الحدث ونفسية صاحب التكرار وقت إطلاقه لكلماته تلك ((ومن ثم فالتوزيع الهندسي لتركيب التكرار يصون الرسالة ويوصلها إلى مرادها الحقيقي ... أما إيقاعية التكرار فإنها تتبوأ مكانة سامقة في شد الوجدان وخلابة السمع)) (خلادي ، ٢٠١٠ ، ص ٤٩) (Khaladi, 2010,p 49) ، ومن هنا يمكننا القول ان التكرار أسهم في إحكام ترابط النص النبوي الذي احتواه (الفقهي ، ٢٠٠٥ ، ص ١٢٠-١) (Al-Faqi, 2005,p 1-120).

خامساً : اختلاف الصور وتشابه المشهد :

نلاحظ في هذه الأحاديث ظاهرة بارزة ألا وهي اختلاف الصور في مشهد متكرر ، ومن ذلك مريم عليها السلام التي أتت حاملاً عيسى عليه السلام ، وهي المبرأة العفيفة ، والبغي أتت حاملة ابن الراعي لتتهم جريجا العابد وهي الزانية الماكرة . وكذلك نجد الحال نفسه مع زوجة العزيز التي ادعت العفة وفضحها شاهد يوسف ، على العكس تماماً من الأمة في حديث الجبار إذ اتهمت بالزنى والسرقة وبرأها الطفل الرضيع بأمر الله تعالى ، وهنا نلاحظ أن فرعون ، وملك أصحاب الأخدود ، وأصحاب جريج الذين هدموا صومعته ، وعزيز مصر ، وقوم مريم عليها السلام بعضهم أمعن في طغيانه كفرعون والملك والجبار ، وبعضهم ظل مترددا كقوم مريم عليها السلام فمنهم من صدقها ومنهم من كذبها ، وصنف ثالث عاد للحق بعد رؤية البرهان والدليل الصادق كعزيز مصر وقوم جريج ، ورغم تشابه العودة للحق والبرهان الساطع لدى عزيز مصر وقوم جريج إلا أن العزيز قد أودع نبي الله السجن على عكس قوم جريج الذين أرادوا إعادة بناء صومعته ، وفي الإطار نفسه يمكن أن نرصد فعل الساحر الذي يريد أن يموت ويروم توريث مهنته الباطلة للغلام ، فما أعجب تزيين الشيطان له ، وكذلك البغي التي تحملت أعباء الحمل والولادة اتباعاً لتزيين الشيطان.

سادساً : التردد والحيرة :

التردد والحيرة في اختيار أمر من أمرين خاصية كانت بارزة في هذه الأحاديث النبوية الشريفة ، فجريج تردد في ترك الصلاة وإجابة أمه وأصبح لديه تأرجح بين هذين الأمرين ، وكذلك غلام الساحر تردد في تفضيل الراهب على الساحر أو العكس إلى أن وقعت حادثة الدابة التي قطعت طريق الناس ، والأمر نفسه ينعكس على تردد الماشطة في اقتحام نار الدنيا ، وهذا لا يُعدُّ هزيمة نفسية وإنما خوف على ابنها الرضيع ، وقل مثل ذلك لامرأة طفل حادثة الأخدود ، فهذه الروابط قد ربطت بين هذه الأحاديث بشكل عجيب ((وما ينطق عن الهوى إن هـو إلا وحي (يوحى) (سورة النجم ، ص ٣-٤) (Surat Al-Najm, p 3-4).

سابعاً : اختيار ألفاظ معينة بدلالاتها :

فقد وردت في هذه الأحاديث ألفاظ معينة اختيرت بدقة لما تحمله من دلالات يستحيل أن يعوض عنها ، ومن ذلك ((إنما يشفي الله)) ((دعوت الله)) ، ولعل في اختيار لفظ الجلالة "الله" دون سائر أسمائه وصفاته لإشعار المخاطب بعظمة الله عز وجل وإحاطته

بخلقه وقدرته الشاملة على عباده في مقابل القدرة المحدودة للبشر (محمد ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٧٩)

(Muhammad, 2008,p 279) ، ومن ذلك أيضاً ((رجلاً عابداً)) فلم يكن عالماً وإلا لأجاب أمه ، وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم قوله صلى الله عليه وسلم عندما ذكر له رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((فَضَّلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ)) (الترمذي ، ١٩٩٨ ، ص ٢٦٨٥) (Tirmidhi, 1998,p 2685) ، أما عبارة ((اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات)) فنلمح فيها الاختيار الدقيق والتخصيص للنظر دون غيره والذي حمل في طياته خطورة دعاء الأم، وخطورة عدم طاعتها ، ولولا رفقتها به لدعت عليه بأكثر من ذلك ، كالوقوع في الفاحشة وليس مجرد النظر إلى المومسات ، أو القتل مثلاً (العسقلاني ، ١٩٧٧ ، ص ٤٨٣ / ٦) (Asaklani, 1977,p 6/483)، وكذلك نلمح الدقة المتناهية في عبارة ((فأبعث إليّ غلاماً أعلمه السحر)) فلماذا يريد غلاماً ؟ ولماذا لم يطلب رجلاً حاذقاً مثلاً ؟ والجواب يكمن في أنه يريد تنشئته منذ الصغر على السحر والشعوذة ليوقن بها وبأنها طريقه الأوحى ، أما اختيار "الأكمه والأبرص" وتخصيصهما بالذكر دون غيرهما لما فيهما من صعوبة الشفاء ، وقدم الأكمه على الأبرص لأن شفاؤه أصعب فهو قد ولد أعمى ، بخلاف الأبرص الذي أصيب بمرض جلدي عافانا الله جميعاً من ذلك (ينظر : الطبري ، ٢٠٠٠ ، ص ٣ - ٢٧٦) (See: Al-Tabari, 2000,p 3-276).

ثامناً : حسن الختام :

عني البلاغيون بحسن الختام وعدوه من المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق به غاية التأنق ، وذلك لأن هذا الختام يُعدُّ بمثابة التقرير النهائي لما سبق ذكره والملخص الذي ينبغي أن يظل عالقاً في أذهان المتلقين على مر العصور ، ويتحقق حسن الختام بجودة النظم وتخير اللفظ وسلامة المعنى ، وأن يكون مؤدناً بانتهاء الكلام مع مطابقة ذلك لمقتضى حال المخاطبين بمختلف أجناسهم وأصنافهم (ينظر : المدني ، ١٩٨١ ، ص ٢ - ١٤٤)

(See: Civil, 1981,p 2-144) فمثلاً نرى روعة الختام في قصة عيسى عليه السلام والذي حمل ألطف الألفاظ وأكثرها تأنقاً وجمالاً تستأنس الأذن بسماعه ((والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً)) (سورة مريم ، ص ٣٣) (Surat Maryam,p 33)،

أما خاتمة قصة شاهد يوسف فقد قررت قضية خالدة ((إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم)) (سورة يوسف ، ص ٢٨) (Surat Yusuf, p 28).

وكذلك كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء الختام فيه على أبلغ ما يقوله البشر مُراعياً فيه مقتضى الحال وخاصة حال المخاطب ، فلقد كان التوقيت الزمني لقصة ابن ماشطة بنت فرعون وطفل الأخدود في العهد المكي الذي عاش فيه المخاطبون بتلك القصص أشد أنواع التنكيل والعذاب ، وقد كان الختام متنوعاً في هذه القصص وكله حمل دلالة ينبغي ألا تمر على القارئ دون تأمل عميق ، فختام قصة جريج كان باختياريه أن تعاد صومعته كما كانت ؛ لأنه لا يبحث عن الشكليات والبهرجة والشهرة والظهور فنفذ ما أراد على أتم وجه ((أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا)) وهذه هي الإشارة الختامية المستوحاة للقراء على مر العصور ، وورد في ختام قصة صاحب الجبار إقرار البراءة لهذه الأمة ((يقولون سرقت زنيت ولم تفعل)) ، أما الختام في قصة ابن الماشطة وطفل الأخدود فقد تشابه في الوصية للأُم وللأجيال اللاحقة من بعدها لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وأنعم بها من وصية كانت كرامة لهؤلاء الضعفاء ((يا أمة اقتحمي ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة - يا أمة اصبري فإنك على الحق)) إنها النظرة إلى العالم العلوي في مشاهد الغيب الكبرى ، والحرص على الفوز في الآخرة .

المبحث الثالث : التصوير الفني :

سأنتبع في هذا المبحث طبيعة التصوير الفني في هذه القصص من خلال الألفاظ التي صورت ورسمت الأحداث وكأنها لوحة متحركة ومشاهد نابضة بالحياة ، وأبدأ مع مشاهد الأطفال الذين ذكرتهم الأحاديث النبوية إشارة وفصل القرآن الكريم القول فيهم ، فشاهد يوسف لنا أن نتصور وقت نطقه ومتعلقات حادثته العجيبة فسيدنا يوسف عليه السلام وامرأة العزيز قد ((استبقا الباب)) فقد هرب منها صاحب العفة ذلك النبي الكريم ، وهنا ((قدت قميصه من دبر)) لتمنعه من الهرب ، وما إن يُفتح الباب حتى يجد سيده ((وأفيا سيدها لدى الباب)) فبدأت المراوغة واتهام يوسف عليه السلام ، فأعلن براءته ولكن ما الدليل وهو غلامهم ، وهنا تتوقف المشاهد البشرية معلنة تدخل السماء بالمعجزة ((وشهد شاهد من أهلها)) فينطق الله الطفل الرضيع وتستغرب أُمه كيف ذلك ؟ والعجيب أنه لم يذكر اسم معين ، بل ذكر أدلة دامغة يتبين منها كل شيء ((إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين))

ونرصد هنا التقابل الدلالي المتمثل ونلاحظ في هذا التقابلات تبادلها العلاقات جدلياً وصولاً إلى درجة الاكتمال الدلالي (جار الله ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧٠) (Jarallah, 2003,p 170) أما التعادل والتوازن والاتساق والإيقاع الواحد في البنية الصوتية والتركيبية فهو الطابع العام لهذه التقابلات التي حسمت القضية عقلياً وعلى أتم وجه ، وثبتت البراءة للعزیز فيعلن العزیز ((إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم)) ، فما أروعه من مشهد متحرك ، والمفارقة هنا أن يرضخ العزیز للحق ولو على أهل بيته ، وفي هذا المشهد تحركت شخوصه التي كانت رجلين وامرأتين والحكم الفصل بينهم كان الطفل الرضيع ، كل هذه الحركة الدائبة في المشهد اختصرها التعبير النبوي بـ ((وشاهد يوسف)) ، ولنا أن نطلق على هذا الطفل "الشاهد القاضي" في الوقت ذاته .

ومثل ذلك كان مع نطق عيسى عليه السلام فقد ذكر التعبير النبوي أنه تكلم في المهد ، وقد اشتمل الحديث الذي ذكره ((على ثلاثة شؤون كبار مهمة من حيث إنه قرن كل شيء

منها بما يناسبه ؛ لأن أولها كلام عيسى بن مريم عليه السلام في المهد، وذلك مما يدل على علوه على الحالتين الآخرين لمشاركتها قصة عيسى)) (الشيباني ، ١٩٩٧ ، ص ١٧٩) (Shibani, 1997,p 179).

ولكنه ترك التفصيل لأي الذكر الحكيم التي صورت المشهد ببراعة ودقة متناهية ، فمريم عليها السلام قد أتت به ((قومها تحمله)) لوحدها مع طفلها وتجتمع الثلة التي من شأنها الظن السيء وتتساور الشكوك لديهم ((لقد جئت شيئاً فرياً)) وتلتزم الصمت الرهيب وتكتفي بالإشارة إليه ((قالوا كيف نكلم من كل في المهد صبياً)) وهنا تبدأ مجريات المعجزة لتخرس الألسنة ((قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً)) (سورة مريم ، ص ٢٩-٣٣) (Surat Maryam,p 29-33) يالها من كلمات متتالية النسق أنهت كل شيء ، ولكن قومها اختلفوا بعد ذلك مع شدة وضوح دليل البراءة ، على عكس العزیز مع شاهد يوسف عليه السلام الذي رضح للحق المطلق ، إنه "الشاهد المبرئ" لأمه الكريمة بأمر السماء .أما صاحب جريج فقد تضمن المشهد المتحرك : الأم ، والبغي التي حاولت تشويه سمعته، والراعي ، والقوم بأجمعهم ، وجربجا المتهم البريء ، والطفل الناطق بالحق ، ولنا أن نتصور قباحة فعلهم وتحديدهم لمعالم الإيمان عند جريج وإلا فما المصلحة من إغوائه ؟!

ولماذا تتحمل هذه البغي آلام الحمل والولادة؟ ما هذا الإصرار؟ وما ثمنه بالنسبة لها؟ ويُختصر الزمن داخل القصة بوجود الفجوات هكذا سماها سيد قطب (ينظر : قطب ، ١٩٨٨، ص ١٥٢)

(See: Qutb, 1988,p 152)، ويمكن أن نطلق عليها الإيجاز والتركيز على محور الحدث ومن ذلك ((اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات - فتذكر بنو إسرائيل جريجاً وعبادته)) فالبعد الزمني واضح بين هاتين العبارتين ، وبهذه الخلاصة لمدة زمنية طويلة نجد البغي قد حملت من الراعي ثم ولدت لتبدأ مرحلة الإيقاع بجريج ، وهنا يسهم المجاز في هذا التصوير الفني فنرصد تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه ((فولدت غلاماً)) فَبَها حَذَفَ تَقْدِيرُهُ (فَحَمَلَتْ حَتَّى انْقَضَتْ أَيَّامُهَا فَوَلَدَتْ) (العسقلاني ، ١٩٧٠ ، ص ٦-٤٨٠) (Asaklani, 1970,p 6-480) وقد جاء التعبير بالغلام عن الطفل ؛ لأنه يؤول إلى غلام ، ولعل السر في هذا المجاز أنه سينطق كما الغلام ينطق ويكشف الحقائق أجمعها .

وكذلك نرصد دور الكناية في هذا التصوير فلقد جاءت هنا مادة تصويرية وضرورة اجتماعية دينية لطابعها التهذيبي ، إذ أغنى التلميح عن التصريح وفاقه تأثيراً ومعنى ، فالصورة الكنائية أدت وظيفتين هنا (الصباغ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٥١) (Al-Sabbagh, 1988,p 251)، ويتجلى ذلك في ((حتى ينظر إلى وجوه المومسات - فلم يلتفت إليها - فأمكنته من نفسها - فوقع عليها)) فنلاحظ في كل ذلك أن ((الكناية النبوية الجنسية تحقق كذلك إحياءات فنية تتسجم مع السياق الذي تتشكل فيه لا نلمحها في التعبير الصريح الفاحش ، وذلك لأن الكناية وسيلة حيوية في التعبير ؛ لكونها من الأساليب الإيحائية ، فهي لا تدل على المعنى في صورة مباشرة ، وإنما يعمل الذهن فيها والخيال في الوقوف على المعنى المقصود)) (رمضان ، ١٩٩٥ ، ص ٧٤) (Ramadan, 1995,p 74).

وبالبشاعة قوم جريج الذين انتظروا مع بغيتهم كل هذا الوقت ليستهدفوه بشنيع صنيعهم ((أتواصوا به بل هم قوم طاغون)) (سورة الذاريات ، ص ٥٣) (Surat Al-Atariat,p 53)، وفي لحظة قدوم البغي حاملة طفلها ((ثارت ثائرة العوام ، فانقضوا كالصواعق على صومعته قبل أن يتحققوا من صدق هذه المرأة ، وما كان لهم أن يتحققوا لأن هذا شأن العوام في كل زمان ومكان ، فاستنزله وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه وهو لا يدري سبباً لتصرفهم)) (الصباغ ، ١٩٨٨ ، ص ٤٤١) (Surat Al-Atariat,p 53)، وتبدأ التهمة ولكن يستهدي جريج إلى أن يطلب من الطفل بيان نسبه ، فينطق بالحق والبراءة

وسط ذهول الجميع ، إنها يد القدرة الراحية للذين اتقوا ، ويؤمن الجميع بهذا النطق العجيب للطفل الرضيع ، ويطلبون العفو من جريج ، إنه الطفل "الشاهد المبريء القاضي" كشاهد يوسف وأكثر ، وهنا يتبين عمق الإعجاز والترابط بين النص القرآني والنص النبوي .
ومن الروائع في هذه القصة أننا نجد أن التعبير النبوي ((يغفل مآل البغي والراعي وابنهم)) لأن العبرة تحققت من هذه القصة ، ولا داعي للخوض بالتفصيلات أكثر ، وهذا الإيجاز هو في حقيقته ((سرد لمدة زمنية في أسطر قليلة دون التعرض للتفصيلات ، كما يختصر الفترات غير المهمة)) (عبد الرزاق ، ١٩٩٦ ، ص ١٦٠) (Abdel Razzaq, 1996,p 160).

والبلاغة النبوية في اختصارها وإفادتها وتصويرها نبض قلب يتكلم ، وكلامه صلى الله عليه وسلم جامع مجتمعات لا يذهب في الأعم الأغلب إلى الإطالة ، بل مقدر في مادته ومعانيه وأسلوب الجمع بينهما (الرافعي ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٠١) (Rafi, 2008,p 201).
وتأخذنا المشاهد النابضة بالحياة إلى صاحب الجبار حيث نقف أمام أم وطفلها الرضيع ورجل حسن الهيئة تتمنى الأم أن يكون طفلها مثله ، فتقع الكرامة بأن يترك الرضيع الرضاعة فيدعو بدعاء يناقض ما تمنته أمه ((اللهم لا تجعلني مثله))، وتتجلى لغة الجسد هنا بأروع ما يكون ، فقد أفادت هذه اللغة شرح المعاني ورسمها وتشكيلها على هيئة تظهر فيها المعاني مجسدة (ينظر : القسطلاني ، ١٩٥٠ ، ص ٥ - ٤١٢ ، وعرار ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٣٣)

(See: Qastalani, 1950,p 5-412, Arar, 2007,p 233)، فقد مثلها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه كما روى أبو هريرة رضي الله عنه إذ قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إصْبَعَهُ ، ثم يسوقه القدر إلى امرأة متهمة زوراً وبهتاناً ، فنقول الأم : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فيتترك ثديها ويقول : اللهم اجعلني مثلها ، أي ((اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي سَالِمًا مِنَ الْمَعَاصِي كَمَا هِيَ سَالِمَةٌ وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِثْلَهَا فِي النَّسَبَةِ إِلَى بَاطِلٍ تَكُونُ مِنْهُ بَرِيًّا)) (النووي، ١٩٦٩ ، ص ١٦-١٠٨) (Nuclear, 1969,p 16-108) فتتعجب الأم وتسأله : لم ذاك ؟ فيقول : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون سرقت زنيته ، ولم تفعل ، فنحن أمام الطفل " الشاهد المبريء" الذي يحكم بأمر السماء ويجعل كلا في مكانه المناسب ((وَكَانَتْ أَوَّلًا لَا تَرَاهُ أَهْلًا لِلْكَلَامِ فَلَمَّا تَكَرَّرَ مِنْهُ الْكَلَامَ عَلِمَتْ أَنَّهُ أَهْلٌ لَهُ فَسَأَلَتْهُ وَرَاجَعَتْهُ)) (النووي ، ١٩٦٩ ، ص ١٦-١٠٨)

(Nuclear, 1969,p 16- 108)، ونلاحظ هنا أن هذه القصة القصيرة تضمنت مشهدين فقط لا ثالث لهما ، عُرِضا بأوجز عرض يحمل في طياته الدلالة التي أراد التعبير النبوي إيصالها للمتلقين في كل زمان ومكان ، وكل ذلك صاحب مدة رضاعة الطفل ، فما أقصر الزمان وما أسرع الإشارة.

وفي حادثة أخرى نلقى الخلود لانتصار المبدأ على المادة ، فنجد ماشطة ابنة فرعون وطفلها الرضيع ، إذ خلد الله ذكرها في السماء بهذه الريح الطيبة التي انبعثت في ليلة الإسراء والمعراج ، وتبدأ القصة بسؤال يستجلب ظاهرة فنية تسمى الاسترجاع ، فسؤال النبي محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عن الرائحة الطيبة جعلته يسترجع ليسرد أحداثاً منذ آلاف السنين فروى الحدث بكل تفصيلاته وإيحاءاته ، وما أروع عبارة ((وجدت رائحة طيبة)) التي تجعل المتلقي وكأنه يشم هذا العبير العاطر ، وتبدأ هذه القصة مع النقاطها للمشط من الأرض قائلة باسم الله ، فتتقل بنت فرعون الخبر لأبيها ؛ لاعتقادها أنه لا إله إلا فرعون ، وتبدأ المحاكمة وتمتّع المرأة من التراجع عن المبدأ الحق ، فيأمر فرعون بإلقاء أبنائها في الحفرة التي أضرمت فيها النيران ، وقد ((كانت تستطيع أن تحول بينهم وبين العذاب بكلمة كفر تُسمعها فرعون لكنها علمت أن ما عند الله خير وأبقى)) (قصاب ، ٢٠٠٥ ، ص ٨) (Katsav, 2005,p 8) وليته ألقاهم جميعاً ، ولكنه التقنن في التعذيب ، ورغم أن شخصيات القائمين على التعذيب مجهولة إلا أن بشاعة فعلهم تدل على صفتهم القبيحة ، فيلقى الأبناء واحداً تلو الآخر ، وتبقى صابرة رغم ذلك ، إلى أن يأتي الدور على ابنها الرضيع فتتردد ، فيُنطقه الله ((يا أمه اقتحمي ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة)) ، ويُسدل الستار على عائلة أكملها سطرت أروع ملاحم البطولة في دنيا الإيمان ، وهنا يتجلى "الطفل الناصح" الذي اختار لأمه طريق الآخرة ، ويا لبشاعة فرعون بطغيانه وجبروته ، ويا لبشاعة فرعون بطغيانه وجبروته إذ قتل أباهم أولاً ثم أفنى العائلة بعد ذلك ، ومن المفارقات أن يفي لها بوعد فيجمع رفاتهم في مكان واحد.

أما طفل الأخدود فقد تجلّى في قصته كثير من الجوانب التصويرية ، وأول ما نلمحه وجود المجاز ذي العلاقة السببية ((وكان الغلام يبئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء)) فهنا جعل سبب الفعل فاعلاً له ، فقد أسند الفعل إلى الغلام للمبالغة عن طريق الإسناد المجازي ، وقيام غير الفاعل الحقيقي بدور الفاعل ، وما هو في الأصل إلا سبب للفعل ((ذلك أنه كان يعالج المرضى فأجرى الله عز وجل الشفاء على يديه استقر في

أذهان الناس أنه الشافي لهم ، ولهذه العلاقة أسند الفعل إلى ضمير الغلام - الفاعل المجازي - لأنه سبب للفعل ((العصيمي ، ١٩٩٩ ، ص ٥٩) (Osaimi, 1999,p 59) وقد تميز المشهد هنا بزخم في الحضور من حيث الشخوص والأماكن والحركة المضطربة للجمع للخلاص من صوت الحق الذي يمثله هذا الغلام ، وتتجلى ظاهرة التردد عند الغلام صاحب الكرامة والتي تنتهي باختياره طريق الإيمان الذي دله الراهب عليه ، ونلاحظ التقابل الدلالي المتمثل في ((إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي / وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر)) ، وهو يشابه ما ورد في قصة شاهد يوسف ((إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين / وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين)) ، ونلاحظ في هذا التقابلات تبادلها العلاقات جدلياً وصولاً إلى درجة الاكتمال الدلالي (جار الله ، ٢٠٠٣ ، ص ١٧٠) (Jarallah, 2003,p 170) أما التعادل والتوازن والاتساق والإيقاع الواحد في البنية الصوتية والتركيبية فهو الطابع العام لهذه التقابلات في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وهذا مما ميز قصص هؤلاء الأطفال فهذا يعد من عوامل الاشتراك فيها.

وما إن يبدأ الغلام طريقه حتى يُستهدف من الملك الظالم وحاشيته ، ولكنهم يعجزون عنه، فتأتي الفكرة الغريبة التي تحمل في ظاهرها الهزيمة للحق ، ولكن الباطن مختلف تماماً إذ تكون النتيجة إيمان الناس بالله الواحد الأحد ، ورغم كل ما رآه الملك من كرامات اشتركت فيها مظاهر الطبيعة المختلفة من جبال وأنهار وبأسلوب عجيب خارج القدرة البشرية ، رغم كل ذلك والملك مُصرٌّ على قتله ، إذ يرى فيه تهديداً لسلطانه وعرشه ، ويترك التعبير النبوي فسحة للعقل البشري ليتصور كيف حدث ذلك ؟ كيف رجع الجبل ؟ وكيف امتثل الماء لأمر السماء فأغرق جميع الطغاة ؟ وما هذا التدرج العجيب في الكرامات للوصول إلى ذروة الحدث والتي كانت باجتماع الناس لحضور مشهد القتل ، فيقتله قائلاً : ((باسم رب الغلام)) ، وهنا تسهم الاستعارة في رسم فظاعة المشهد وقسوته ((ثم ضع السهم في كبد القوس)) فقد استعد الملك بكليته لذلك وأطلق السهم وانتهى كل شيء بحساباته المادية ، ويُسدل الساتر على انتصار المبدأ لا المادة ، وهنا آمن الناس فيأمر الملك بحفر الأخدود وإضرام النار فيه ليكون مأوى لكل المؤمنين ، ووسط هذا الذهول يسلط التعبير النبوي الضوء على امرأة واحدة من هذا الجمع ترددت في الورد في الأخدود ، فينطق الله طفلها لتتيقن أنه طريق الحق لا سواه ((يا أمه اصبري فإنك على الحق))، فنرى هنا "الطفل الناصح" الذي أراد لأمه طريق النجاة في الآخرة ، وإذا كان

فرعون قد حفر حفرة صغيرة للأم وأطفالها فإن هذا الملك الطاغية قد حفر أخدودا يسع الناس جميعاً ، ولنا أن نتصور من خلال هذه الاستعارة ((فأمر بالأخدود في أفواه السكك)) حجم ما حفر ليتسع الكم الهائل من الناس المؤمنين ، وهنا تأخذ هذه القصة المطولة ((حيويتها من خلال ظاهرة تعدد الأصوات التي تشكل شبكة الحوار فيها ، وتؤطر هذه المشاهد الحوارية القصة بكاملها بحيث تشيع فيها حيوية سردية تجعل من موضوعها بنية واضحة المعالم حيال زمن المتلقي، يتماها من سائر جوانبها من خلال وظيفة الحوار الكشفية التبليغية التي تقدم للقارئ حقائق مقنعة. و في هذه القصة يضعنا السرد مباشرة أمام مشاهد متصلة، ساهمت في إطالة عمر القصة عن طريق تمديد زمن الخطاب)) (سديرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٢) (Sedira, 2005, p 82) ، وكذلك ((تنتهي رواية الحادث وقد ملأت القلب بالروعة ، روعة الإيمان المستعلي على الفتنة ، والعقيدة المنتصرة على الحياة ، والانطلاق المتجرد من أوهام الجسم وجاذبية الأرض ، فقد كان في مكنة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم ، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة ؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر ؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير : معنى زهادة الحياة بلا عقيدة ، وبشاعتها بلا حرية ، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد ! إنه معنى كريم جداً ومعنى كبير جداً هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض)) (قطب ، ٢٠٠٤ ، ص ٦ / ٣٨٧٤) (Qutb, 2004, p 6/3874).

إنه التكرار للصورة نفسها بكل تفصيلاتها وإحياءاتها ، وتتشابه في كل شيء حتى نطق الطفل كان يختار نار الدنيا للنجاة من نار الآخرة ، فقصة طفل الأخدود وقصة ابن الماشطة رسما الصورة ذاتها وإن اختلفت الأسماء والزمان والمكان ، إنه الصراع المتكرر المحتدم بين الحق والباطل إلى قيام الساعة .

وهنا تُسكب العبرات وتُخلد الانتصارات على مر الأزمان ، انتصار الإيمان بتعالیه على الباطل وأعوانه ، وبهذه اللوحات أختم هذا المبحث الذي خصصته للجانب التصويري في هذه القصص .

الخاتمة

في نهاية مشواري في هذا البحث لا بد لي من أن أسجل أبرز النتائج التي توصلت إليها :

- ١- لم يرد في السنة المطهرة إلا ثلاثة أحاديث نبوية ذكرت ستة من الأطفال تكلموا في مهدهم.
- ٢- كان لسياق الحال الأثر البارز في هذه القصص النبوية ، فقد كان توقيتها الزمني ظاهراً بارزاً، إذ كانت مكية واكبت عناء المسلمين وما يلاقونه من أذى ، وكان ذلك واضحاً في قصتي الماشطة والأخدود .
- ٣- تنوعت حكاية التعبير النبوي عن هؤلاء الستة ، فمنهم من أشارت إليه إشارة عابرة ، وتركت التفصيل لأي الذكر الحكيم ، كما في قصتي شاهد يوسف عليه السلام ، وعيسى عليه السلام ، ومنهم من فصلت فيه القول كما في قصص طفل جريج والطفل صاحب الجبار وطفل الماشطة وطفل الأخدود .
- ٤- ومن اللافت للنظر أن تفيض السنة المطهرة في ذكر تفاصيل دقيقة عن أصحاب الأخدود برواية أكبر من التي ذكرتها سورة البروج .
- ٥- لم تأت هذه القصص بلا رابط موضوعي ، بل على العكس من ذلك فقد ارتبطت مع بعضها بروابط متعددة شكلت بنية واضحة المعالم تدل على دقة متناهية لدى التعبير النبوي في تناول هذه القضية .
- ٦- برزت ظواهر تركيبية وتعبيرية مشتركة في هذه القصص ، كما هو الحال مع الافتتاح المشترك ، وحروف العطف وطريقة استعمالها من لدن التعبير النبوي ، والحوار بكل ما احتواه ، والتكرار ، وغير ذلك مما فصلته في ثنايا بحثي هذا .
- ٧- أسهمت الفنون البلاغية بمجملها في التصوير الفني الذي صور المشهد وكأنه لوحة متحركة نابضة بالحياة أمام المتلقي على مر العصور .
- ٨- تنوعت هذه القصص من حيث الطول والقصر ، إذ كانت أقصرها قصة صاحب الجبار وأطولها قصة أصحاب الأخدود .

References

-References after the Holy Quran are:

-Ahmed, Badawi - 1978 From the rhetoric of the Koran - Dar Nahdet Misr for printing and publishing - D. T - Fagala.

-Azadi, Muhammad bin Fattouh bin Abdullah (T 488 e) - a strange interpretation of the correct in the Bukhari and Muslim - the investigation of Dr.: Zubaydah Mohammed Saeed Abdul Aziz-1995- 1 - Library of the year - Cairo

Al - Asfahani, Abu Al - Qasim Al - Hussain bin Mohammed known as Ragheb (502 e) -: Vocabulary in the strange Koran - Achieved: Safwan Adnan Daoudi - Dar Al - Qalam - Damascus -1990- 1.

-Bukhari, Mohammed bin Ismail - 1987- (256 e), Sahih Bukhari - Investigation: d. Mustafa Deeb Al-Baja - 3 - Dar Ibn Katheer - Yamamah - Beirut.

-Badri, Sami Awad - approximation benefits explain the talk of Gregg Abed - Jeddah House for publication and distribution - Jeddah - 1 - 2011.

Al - Baghawi, Abu Muhammad Al - Hussain bin Masoud bin Mohammed bin Fur Al - Shafei - (5105 AH) - Tafseer Al - Baghawi - Download features in the interpretation of the Koran - Investigator: Abdul Razzaq Al - Mahdi -1999 House of Revival of Arab Heritage - Beirut - 1 - .

-Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein - 1988- T (458 e) - Directories of prophecy - Achievement: Dr. Abdul Muti Qalaji - 1 - House of Scientific Books.

-Thematic, Abdul Mohsin – Dlala- 2007 context and its impact on the understanding of the Prophet's Hadith - Research presented to the Fourth International Symposium "The Sunnah between the disciplines of good understanding and the requirements of renewal" - Dubai - .

-Tirmidhi, Muhammad bin Isa bin Surah bin Musa bin al-Dahak, Abu Issa - (d. 279 e) - Sunan al-Tirmidhi 1998 (Grand Mosque) - Investigator: Bashar Awwad Marouf - Dar al-Gharb al-Islami - Beirut - .

-Al-Jahiz, Amr bin Bahr bin Mahbub al-Kanani loyalty, Al-Leithi, Abu Osman - Bayan- 2001 and Taibeen - (255 e) - House and Library of the Crescent - Beirut.

-Jarallah, Delkhoush - 2003- Semantic Research in the book of Sibweh - PhD thesis - Faculty of Arts - University of Salahaddin - Erbil.

-Al-Jawhari, Ismail bin Hammad Al-Farabi - (c. 393 AH) - Taha

Taj Al-Luhah and Saheeh Al-Arabiya - 1987- Investigation: Ahmed Abdul Ghafoor Attar - 4 - Dar Al-Ilm for millions - Beirut.

-Khaladi, Muhammad Al-Amin No. 17 - 2010- the Prophet's speech and the effectiveness of repetition graphic - Journal of the University of Kufa -.

-Al-Rafi'i, Mustafa Sadiq- 1 - 2008 - Ijaz Quran and Prophetic Propagation - Review: Najwa Abbas - Almokhtar Foundation for Publishing and Distribution - Cairo.

-Ramadan, Ahmed Fathi - 1995- kenya in the Koran - PhD thesis - Faculty of Arts - University Mosul.

-Al-Zubaidi, Mohammed bin Mohammed bin Abdul Razzaq al-Husseini, Abu al-Faid, nicknamed Bmrtdah - (T 1205 e) - Crown of the bride Jawahar dictionary - a group of investigators - Dar al-Hedaya.

-Sidira, Siham - Structure of time and place in the stories of Hadith - Master Thesis - Faculty of Arts - University of Mentori - Algeria - 2005.

-Shawish, Ghaleb Mohammed - Prophetic rhetoric between theory and practice - Library

Al - Rashed - Riyadh - 1 - 2009.

-Shaibani, Yahya bin Mohammed bin Hubira mental-
(T 560E) - Disclosure of meanings of the Sahih - Investigation: Fouad Abdel Moneim Ahmed - Dar Al-Watan - 1997.

-Sabbagh, Mohamed Lotfi - artistic photography in the Hadith - the office
Islamic - Beirut - I 1 - 1988.

-Tahir, Mohammed Tahir bin Mohammed bin Mohammed Tahir bin Ashour - Liberation and enlightenment-
(T 1393) - Tunisian Publishing House - Tunisia 1984.

Al - Tabari, Abu Jaafar al - Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghalib Amali - 310 (e) - Interpretation of Tabari - Mosque statement in the interpretation of the Koran - Investigator: Ahmed Mohammed Shaker - Foundation letter - 1-

-Abdel Razzaq, Nasser - the Arabic story in the era of creativity - Publishing House of Universities - Egypt, 3 - 1996.

-Arar, Mahdi Asaad - Statement without tongue (study in body language) - Scientific Book House - Beirut - 1 - 2007.

-Al-Askalani, Ahmad bin Ali bin Hajar Abu al-Fadl - Fath al-Bari Sharh Sahih Bukhari - Number of books and doors and conversations: Mohamed Fouad Abdel Baqi - Dar al-Maarafa - Beirut - 1963.

-Osaimi, Fawzia Abdullah - The graphic faces in the story of the Prophet and its secrets minute - Master - Faculty of Arabic Language -

Umm Al-Qura University - 1998.

-Al-Fayrouz Abadi, Mohammed Bin Yaqoub - (817 AH) - The Ambient Dictionary - Achieving: The Heritage Investigation Office at the Mission Foundation.

-Faid al-Qadeer Explanation of the small mosque, Mohammed Abdul Raouf Al-Manawi (v. 1031 AH) - 1 - House of scientific books - Beirut - 1994.

-Fyod, Bassiouni - Science Albdaih - Press happiness - Egypt - I 1 - 1988.

-Fayoumi, Ahmed bin Mohammed bin Ali, Abu Abbas - (770 e) - the light bulb in the great interpretation of the Koran - Scientific Library - Beirut.

-Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr - (671 e) the whole of the provisions of the Koran - Inquiry: Hisham Samir Bukhari - Dar book world - Riyadh - 2003.

-Al-Qar'an, Fayez - Summary and detail in the Holy Quran - analytical study - Yarmouk Research Journal - vol 12 - No. 1 - 1994.

-Al-Qastalani, Ahmed bin Mohammed bin Abi Bakr bin Abdul Malik al-Qutibi of Egypt, Abu al-Abbas, Shihab al-Din - (923 e) - guidance of the sari to Saheeh al-Bukhari - the great printing press Amiri - Egypt - i 7 - 1960.

-Katsab, Waleed - Mashta bint Faroon - Dar al-Hadhara for publication and distribution - Damascus - I 1 - 2005.

-Qutb, Sayed - in the shadows of the Koran - Dar Al Shorouk - Egypt - I 34 - 2004.

-Mohammed, Yousef Abdullah - Care of the case of the addressee in the Hadiths of the correct - Analytical rhetorical study - PhD thesis - University of Imam Muhammad bin Saud Islamic - Faculty of Arabic Language - 2008.

-Mahmoud, Abu Abdul Mustafa - the story of the owners of the groove through the year of Mustafa - the site of the path of Islam.

-Civil, the son of Masum - Lights of spring in the types of Budaiya - Inquiry: Shaker Hadi Shaker - Press Numan - Najaf - 1 - 1970.

-Muslim, Imam Muslim (261 AH) - Saheeh Muslim - Inquiry: Mohamed Fouad Abdel Baqi - House of Revival of Arab Heritage - Beirut.

-Mustafa, Ibrahim - Dictionary of the Mediator - Arabic Language Complex - Cairo.

-Nuclear, Yahya bin Sharaf (v. 676 AH) - Curriculum Explanation Sahih Muslim bin Hajjaj - II - House revival of Arab heritage - Beirut - 1971.

-Hisham, Abdullah bin Yusuf bin Ahmed bin Abdullah bin Yusuf, Abu Mohammed, Jamal al-Din, Ibn Hisham - (761 e) - singer El-Labib for the books of the Aarib - Investigator: Dr. Mazen al-Mubarak / Mohammed Ali Hamadallah - Dar al-Fikr - Damascus - I 6 - 1985.

المصادر

- المصادر بعد القرآن الكريم هي :
- أحمد ، بدوي - من بلاغة القرآن - دار نهضة مصر للطباعة والنشر - د.ط -
الفضالة - ١٩٧٨ .
- الأزدي ، محمد بن فتوح بن عبد الله (ت ٤٨٨هـ) - تفسير غريب ما في
الصحيحين البخاري ومسلم - تحقيق الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز - ط ١
- مكتبة السنة - القاهرة ١٩٩٥
- الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢هـ) -
المفردات في غريب القرآن - تحقيق : صفوان عدنان الداودي - دار القلم -
دمشق - ط ١ - ١٩٩٠ .
- البخاري ، محمد بن إسماعيل - (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري - تحقيق : د.
مصطفى ديب البغا - ط ٣ - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - ١٩٨٧ .
- البدري ، سامي عوض - تقريب الفوائد بشرح حديث جريج العابد - دار جدة
للنشر والتوزيع - جدة - ط ١ - ٢٠١١ .
- البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي - (ت
٥١٠هـ) - تفسير البغوي - معالم التنزيل في تفسير القرآن - المحقق : عبد
الرزاق المهدي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط ١ - ١٩٩٩ .
- البيهقي ، أحمد بن الحسين - ت (٤٥٨هـ) - دلائل النبوة - تحقيق : د.عبد
المعطي قلنجي - ط ١ - دار الكتب العلمية - ١٩٨٨ .
- التخيفي ، عبد المحسن - دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث النبوي - بحث
مقدم إلى الندوة الدولية الرابعة " السنة النبوية بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات
التجديد " - دبي - ٢٠٠٧ .
- الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، أبو عيسى -

- (ت ٢٧٩ هـ) - سنن الترمذي (الجامع الكبير) - المحقق: بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ١٩٩٨ .
- الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان - البيان والتبيين - (ت ٢٥٥ هـ) - دار ومكتبة الهلال - بيروت - ٢٠٠١ .
- جار الله ، دلخوش - البحث الدلالي في كتاب سيبويه - أطروحة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة صلاح الدين - أربيل - ٢٠٠٣ .
- الجوهرى ، إسماعيل بن حماد الفارابي - (ت ٣٩٣ هـ) - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - ط٤ - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٧ .
- خلادي ، محمد الأمين - الخطاب النبوي وفاعلية التكرار البياني - مجلة جامعة الكوفة - العدد ١٧ - ٢٠١٠ .
- الرافعي ، مصطفى صادق - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مراجعة: نجوى عباس - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة - ط١ - ٢٠٠٨ .
- رمضان ، أحمد فتحي - الكناية في القرآن الكريم - أطروحة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة الموصل - ١٩٩٥ .
- الزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى - (ت ١٢٠٥ هـ) - تاج العروس من جواهر القاموس - تحقيق مجموعة من المحققين - دار الهداية .
- سديرة ، سهام - بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي - رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة منتوري - الجزائر - ٢٠٠٥ .
- الشاويش ، غالب محمد - البلاغة النبوية بين النظرية والتطبيق - مكتبة الرشد - الرياض - ط١ - ٢٠٠٩ .
- الشيباني ، يحيى بن محمد بن هبيرة الذهلي -

(ت ٥٦٠هـ) - الإفصاح عن معاني الصحاح - تحقيق : فؤاد عبد المنعم أحمد -
دار الوطن - ١٩٩٧ .

- الصباغ ، محمد لطفي- التصوير الفني في الحديث النبوي- المكتب
الإسلامي - بيروت - ط ١ - ١٩٨٨ .

- الطاهر، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير

(ت ١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ .

- الطبري ، أبو جعفر الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب
الآملي - ت (٣١٠هـ) - تفسير الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - -
المحقق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ٢٠٠٠ .

- عبد الرزاق ، ناصر - القصة العربية في عصر الإبداع - دار النشر للجامعات
- مصر ط ٣ - ١٩٩٦ .

- عرار ، مهدي أسعد - البيان بلا لسان (دراسة في لغة الجسد) - دار الكتب
العلمية - بيروت - ط ١ - ٢٠٠٧ .

- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل - فتح الباري شرح صحيح
البخاري - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي - دار المعرفة -
بيروت - ١٩٦٣ .

- العصيمي ، فوزية عبد الله - الوجوه البيانية في القصة النبوية وأسرارها الدقيقة
- رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى - ١٩٩٨ .

- الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب - (ت ٨١٧هـ) - القاموس المحيط- تحقيق:
مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي - ط ٨ -
مؤسسة الرسالة والنشر والتوزيع، بيروت - ٢٠٠٥ .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)

- ط ١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٤ .
- فيود ، بسيوني - علم البديع - مطبعة السعادة - مصر - ط ١ - ١٩٨٨ .
- الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي ، أبو العباس - (ت ٧٧٠هـ) - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - المكتبة العلمية - بيروت .
- القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر - (٦٧١ هـ) الجامع لأحكام القرآن - تحقيق: هشام سمير البخاري - دار عالم الكتب - الرياض - ٢٠٠٣ .
- القرعان ، فايز - الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم - دراسة تحليلية - مجلة أبحاث اليرموك - مج ١٢ - عدد ١ - ١٩٩٤ .
- القسطلاني ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين - (ت ٩٢٣هـ) - إرشاد الساري إلى صحيح البخاري - المطبعة الكبرى الأميرية - مصر - ط ٧ - ١٩٦٠ .
- قصاب ، وليد - ماشطة بنت فرعون - دار الحضارة للنشر والتوزيع - دمشق - ط ١ - ٢٠٠٥ .
- قطب ، سيد - في ظلال القرآن - دار الشروق - مصر - ط ٣٤ - ٢٠٠٤ .
- محمد ، يوسف عبد الله - رعاية حال المخاطب في أحاديث الصحيحين - دراسة بلاغية تحليلية - أطروحة دكتوراه - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية اللغة العربية - ٢٠٠٨ .
- محمود ، أبو العبد مصطفى - قصة أصحاب الأخدود من خلال سنة المصطفى - موقع طريق الإسلام .
- المدني ، ابن معصوم - أنوار الربيع في أنواع البديع - تحقيق : شاكِر هادي شاكِر - مطبعة النعمان - النجف - ط ١ - ١٩٧٠ .
- مسلم ، الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) - صحيح مسلم - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .

- مصطفى ، إبراهيم - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - القاهرة .
- النووي ، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ط٢ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٩٧١ .
- هشام ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام - (ت ٧٦١ هـ) - مغني اللبيب عن كتب الأعراب - المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله - دار الفكر - دمشق - ط٦ - ١٩٨٥ .